# مظاهر الحياة الاجتماعية خلال العصر الايوبي في مصر وبلاد الشام

## ( ٥٦٧ هـ ـ ٦٤٨ هـ / ١١٧١ ـ ١٢٥٠ )

.....

م. م. هالة عبدالكريم عبود

بالاشتراك مع

أ. د. عبدالباسط مصطفى مجيد الرفاعي

# المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قامت الدولة الأيوبية سنة (٥٦٧هـ/ ١١٧١م) وأخذت شكلها الرسمي سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) وانتهت سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)، أي إنها عاشت أحدى وثمانون سنة، وكانت السمة الغالبة على حياة هذهِ الدولة هي الحروب والجهاد ضد الصليبيين، بدءاً من عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي مؤسس الدولة وحتى نهاية أخر سُلطان أيوبي.

شهدت الدولة الأيوبية تعاظم قوة الصليبين واحتلالهم الكثير من مدن بلاد الشام، بل وتهديدهم المستمر في هجماتهم المتكررة لاحتلال مصر والحجاز، وبطبيعة الحال فانَّ الظروف العسكرية والسياسية المتوترة كانت تؤثر على حياة الناس بشكل عام وعلى حياتهم الاجتماعية بشكل خاص، إذ لم تكن هنالك فرصة امام الأيوبيين ليعيشوا حياة اجتماعية مترفة وانما غلبت فكرة الحرب عند السلاطين وطغت عقيدة الجهاد على احاسيس الناس ومشاعرهم، بسبب نهج الدولة الجهادي إلا ان ذلك لم يمنع السلاطين الأيوبيين وأبناء المجتمع في مصر وبلاد الشام من أخذ نصيبهم من الدنيا والخاص في أداء طقوسهم الدينية ، وإقامة مناسباتهم ألاجتماعية وذلك بحكم طبيعة البشر والمجتمع ، فيذكر أنهم قد اهتموا بإحياء ألأعياد الدينية والحفلات والمناسبات كما اهتموا ببعض أوجه الهندسة المعمارية التي يتطلبها المجتمع من بناء المساجد والمدارس والحمامات وغيرها ، فالحياة الاجتماعية كان لها فيها مظاهر كثيرة وعديدة ولكن ما اسعفت به المصادر من معلومات جعلت من البحث ان يكون على الشكل الأتي:_ المبحث الاول : البُنية السكانية لمجتمع مصر وبلاد الشام زمن الدولة الايوبية . المبحث الثاني : بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في مصر وبلاد الشام، منها : الاحتفالات والاعياد الدينية وغير الدينية، والحياة العامة لمجتمع مصر وبلاد الشام، والازمات التي تعرض لها المجتمع المصري والشامي زمن الدولة الايوبية. والمبحث الثالث : دور المرأة في الحياة الاجتماعية.

# المبحث الأول

## البُنية السُكانية لمجتمع مصر وبلاد الشام زمن الدولة الايوبية

كان المجتمع المصري والشامي زمن الدولة الايوبية يتألف من فئات عديدة اهمها:_

١. السُنّة : وهم الذين يشكلون أحد فئات المجتمع المصري والشامي وقد زادَ عددهم بعد قيام الدولة الأيوبية كون مؤسس هذهِ الدولة هو صلاح الدين الأيوبي وافراد دولتهِ من ابناء السنّة وعلى المذهب الشافعي، اذْ سعى صلاح الدين وبكل اهتمام منذ توليهِ السلطة في مصر الى نشر هذا المذهب بين ابناء المجتمع مع تمتع أصحاب المذاهب الأخُرى ( المالكي _ الحنفي _ الحنبلي) بالحُرية المذهبية في دولة صلاح الدين وخلفائهِ منَ بعدهِ[١].

٢. الشيعة : وأكثرهم من المغاربة، وهم الذين كان لهم دورٌ كبير في تأسيس الدولة الفاطمية، الا إن اعدادهم أخذت تقل شيئاً فشيئاً بعد انتهاء عهد الدولة الفاطمية في مصر[٢]، اما في بلاد الشام فيذُكر ابن جبير بأنّ الشيعة قد عمروها بمذاهبهم ، وهم فرق شتى منهم الامامية، والزيدية، والرافضة، والاسماعيلية، والنصيرية، والغرابيّة وغيرهم[٣]

٣. أهل الذمة : وهم النصارى اليعاقبة، والنصارى الملكانية والمقيمين في بلاد الشام ، أما اليهود فمنهم القرّايين، والربَّانيين والسامرة ومركزهم في مدينة نابلس وهي المدينة المعظمة عندهم[٤]، أما في مصر فقد كانت أعداد اليهود أقل بالنسبة لعدد النصارى الأقباط[٥]، وكانت علاقة المسلمين بهم تتسم بالتسامح الديني، إذ سمح لهم بممارسة طقوسهم وبناء كنائسهم وأديرتهم في البلاد الإسلامية[٦].

٤. المماليك : سلاطين بني أيوب اكثروا من شراء المماليك، وتنشئتهم تنشئة عسكرية لدعم الجيش الأيوبي وزيادة عدد قطاعاته، وهذه الشريحة من الجيش بدء أمرهايستفحل بعد أن زادَ عددها حتى وصلَ في عهد السلطان نجم الدين أيوب الى اثنى عشر الفاً والذين كانوا فيما بعد نواة دولة المماليك البحرية[٧].

٥. السودانيون : كان هؤلاء يشكلون شريحة كبيرة في المجتمع المصري[٨]، وقد ذكر عنهم ابن جبير عندما مَرَّ بهم انهم كانوا يسكنون في عيذاب جنوب مصر ويعرفون بالبُجاة ، ولهم سلطان من انفسهم يسكن معهم في الجبال المتصلة بها، لكنه يجتمع مع والي المدينة اظهاراً للطاعة.[٩]

# المبحث الثاني

# بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في مصر وبلاد الشام

## أ - الاحتفالات والأعياد الدينية وغير الدينية

بالرغم من النفس الحربي الذي كان يستنشقهُ المجتمع المصري والشامي زمن الدولة الايوبية الاّ ان ذلك لا يعني إنَّ النَاسَ قد نسوا نصيبهم من الدنيا وذلك بحكم طبيعة البشر وطبيعة المجتمع، كما أن السنوات التي حكم فيها بنو أيوب لا يعني انها كلها كانت حروب انما تخللتها سنوات من السلم عاش فيها الناس حياتهم ، ومارسوا فيها طقوسهم الدينية وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية بصورة طبيعية، فيذكر إنهم قد أهتموا بإحياء الأعياد الدينية والحفلات السلطانية والموسمية، وهذا ما يذكره (المقريزي) بقوله : ((والاحتفالات لا تتعرض لألوان الإباحية والمنكرات التي كانت على عهد الفاطميين والمماليك))[١٠]، وقد شارك المسلمون والمسيحيون والاقباط بهذهِ الاحتفالات وهو نهج سارَ عليهِ اهل مصر وبلاد الشام في العناية بالأعياد والمناسبات[١١].

وبما إنَّ البلاد تحولت رسمياً من المذهب الشيعي الى المذهب السُني، فقد الغى الايوبيون بعض الأعياد المرتبطة بأعياد الشيعة، في حين حَورَّ البعض الآخر بما يتفق مع هذا التحَّول، مثال ذلك إن العاشر من محرم _ وهو يوم عاشوراء _ كان يوم حُزن عندَ الفاطميين اذْ كانت تُغلق فيه الأسواق، الا إنَّ الايوبيين قد جعلوه يوم فرح يَوسعون فيهِ على عيالهم، ويصنعون فيهِ الحلوى ويطبخونَ فيهِ الحبوب[١٢] .

ويُذكر إنَّ خلفاء صلاح الدين الأيوبي قد اهتموا في أقامه مناسبات محددة وإحياء بعض الحفلات فيُذكر إنّ العزيز عثمان كان يُقيم موائد الطعام الكُبرى لأعيان دولتهُ من حين الى آخر[١٣]، كما أقامَ السلطان الكامل مائدة كبيرة بمناسبة ختان ابنهِ العادل الايوبي سنة (٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م)[١٤].

ويذكر بأنَّ السلطان العادل قامَ بتزيين القاهرة ومصر وعَملَ مائدة طعام عظيمة في الميدان الاسود تحت قلعة الجبل عمل فيه قصوراً من الحلوى وأحواضاً من السُكَّر والليمون[١٥]، كما ذُبح الفاً وخمسمائة رأس من الغنم والبقر والجاموس والإبل والخيل اعدّها شواءاً ومثلها طعاماً ونادى الملك العادل في العامة بالحضور الى تناول الطعام فحضر الجليل والفقير[١٦].

وكان المسلمون في مصر وبلاد الشام يحتفلون بعيد رأس السنة الهجرية وبشهر رمضان وعيد الفطر وعيد الأضحى وذلك بالخروج للجوامع التي تزدحم بالمصلين وتمتلئ الاسواق بالحركة والنشاط[١٧]، كما يحتفل الناس في دورهم من خلال اعداد مختلف الاطعمة واصناف الحلوى مثل القطائف والكنافة، وغيرها من الحلوى المصنوعة من السكر بأشكال مختلفة مثل الخيول والقطط وغيرها والتي تم شرائها من الأسواق[١٨]، فضلاً عن شراء الفوانيس المضاءة بالشموع والتي لا يخلّو منها بيت خاصة في شهر رمضان والتي يحملها الصبية ليلاً وهم في طريقهم الى الجوامع للصلاة، ومشاهدة الاحتفالات الدينية[١٩]، ويذكر ابن جبير إنّ اهل دمشق يحتفلون في ليلة النصف من شعبان في الجامع المكرم أكثر من احتفالهم بليلة السبع والعشرين من رمضان، بل ويصف الناس هناك بأنهم يجتمعون ويحتفلون يومياً في هذا الجامع من الصباح وحتى المساء[٢٠].

أما عن أعياد النصارى في مصر وبلاد الشام ، فلهم أربعة عشر عيداً مشهورة من كل سنة، سبعة أعياد كبار وهي: عيد البشارة، وعيد الزيتونة، وعيد الفصح، وعيد الغُطّاس، وخميس الاربعين، والخميس، وعيد الميلاد، وهناك سبعة أعياد صغار وهي: عيد الختان، وعيد الشهيد، وعيد الصليب، والاربعين، وخمس العهد، وسبت النور، وأحد الحدود، هذا فضلاً عن الاحتفال بيوم النوروز وهو ليس من الاحتفالات القبطية لكنه توارث عن الأسلاف وهو أول السنة القبطية وسُنتهم فيها هي أشعال النيران والتراش بالماء، أما أهل بلاد الشام فكان احتفالهم في النوروز باليوم الاول من يناير ويسمونهُ (القلندس)[٢١]، ويذكر المقريزي أنه في سنة (٥٩٢هـ/ ١١٩٥م) اي في عصر الدولة الايوبية قد استجد أمر اللهو في النوروز وهو التراجم بالبيض، والتصافع بالجلود، ومن ظفر بهِ من الناس في الطريق رُشَ بمياه نجسة[٢٢].

وكان النصارى يعمدون في هذه الأعياد التي تزيين كنائسهم، فضلاً عن تصنيع الحلوى كالزلابية، والمثارد التي فيها السميد، وطبخ سمك البوري، وكان النصارى في مصر يطبخون العدس في خميس العهد ويلقبونه خمس العدس، أما في بلاد الشام فيقولون خميس الأرز، وخميس البيض اي البيض المصبوغ[٢٣].

كما كان النصارى يلعبون بالنار في أيام الميلاد، ويصْنعون في هذهِ المواسم الفوانيس التي تُزين بالازهار المختلفة ذات الالوان الزاهية فيتسارع الناس من اغنياء وفقراء الى شرائها من الأسواق والحوانيت لأهلهِ وأولاده، ويهادى النصارى بعضهم بعضاً من انواع الطعام، كما يهدون للمسلمين انواع السمك مع العدس المصفى والبيض[٢٤].

ويذكر ابن جبير ان للنصارى في بلاد الشام عيد يُشعلون فيه الشموع يكاد لا يخلو أحدٌ منهم صغيرا كان ام كبيراُ ذكراً ام أنثى من شمعة في يده، ثم يتقدم قسيسهم للصلاة بهم، وبعد ذلك يقوم بوعظهم وتذكيرهم بشرائع دينهم، كما ويتهافت حُجاج بيت من النصارى والمعرفين بالبُلغريين بالألاف ومن مختلف الاصقاع لزيارة بيت المقدس[٢٥].

كما وكان لليهود في مصر وبلاد الشام أعياداً ومناسبات خاصة بهم، ومنها أعياد رأس السنة ويسمى (عيد رأس هيشا) وهو يوم الفداء من الذبح، وهناك عيد الصوم ويسمونُه (الكيور) ومن لم يصمهُ يقتل وهو (٢٥) ساعة، كما كان لهم عيد (الظَّلة) وهو ذكرى منهم بفضل الله تعالى لإظلالهم في التيه بالغمام، فضلاً عن (عيد الفصح أو الفطور) وهو سبعة أيام يأكلون فيه الفطير من الخبز إحتفالاً بيوم غرق فرعون[٢٦].

وكان اليهود منتشرين في مصر ومناطق كثير من بلاد الشام يمارسون أعمالهم وطقوسهم بحرية تامة وهم يسكنون جنباً الى جنب مع النصارى والعرب، ويذكر ابن بطوطه انهُ عندما أصاب دمشق مرض الطاعون أتجه العرب المسلمون واليهود والنصارى كل جماعة بكتابهم يدعون ويتضرعون الى ان انتهى هذا المرض ، مما يدل على مدى حريتهم في العيش بهذهِ المدن والعمل وممارسة العادات والتقاليد والعبادات بكل حرية[٢٧].

وكان من عادات يهود السامرة انهم لا يتزوجون من غير بنات نجلتهم ولا يختلطون مع بقية اليهود وهم يبتعدون عن كل ما يدنسهم اي انهم يبالغون في الطهارة بحيث اذا قصدوا الصلاة خلعوا ثيابهم واغتسلوا ولبسوا ثياب جديدة للصلاة[٢٨].

## ب - احتفال وفاء النيل

وهو احتفال سنوي يحرص المصريون على أحيائه بكل مذاهبهم، اذ يعمل سكان مصر على مراقبة نهر النيل من حيث احتساب ارتفاع منسوب مياه النهر من انخفاضه يومياً وبشكل دقيق، فإذا انخفض منسوب المياه عن اربعة عشر ذراعاً دعا السلطان القضاة الأربعة والمشايخ والعلماء ان يتوجهوا الى الروضة ليواصلوا تلاوة القران والحديث والدعاء من اجل زيادة النيل، كما يؤذن المنادي في الشوارع ويأمر الناس بالصيام ثلاثة أيام، والخروج للجوامع لأداء صلاة الاستسقاء[٢٩]، وفي بعض الاحيان يحضر السلطان والوزير لكي يُصلي كُلاً منهما ركعتين ويكون في النهر ذلك اليوم نحو الف مركب مشحونة بالناس للتفرج واظهار الفرح[٣٠].

وفي زمن الفيضان يقف صاحب _ مقياس الروضة[٣١]_ على مقدار زيادة النيل كل يوم وقت العصر، ثم تُكتب الزيادة ليعلم بها اعيان الدولة من أرباب السيوف والأقلام من الامراء وقضاة القضاة من المذاهب الاربعة وناظر الجيش والمحتسب، ويُنادي المنادي صباح اليوم التالي في شوارع القاهرة بمقدار الزيادة، فيذكر ذلك آليوم من الشهر العربي وما يُوافقهُ منَ الشهر القطبي، أما إذا وفى النيل ستة عشر ذراعاُ فقد استبشر الناس خيراً لذلك، فيُصَرَّح في المناداة كُلَّ يوم بما زادَ من الأصابع وما صارَ اليهِ من الأذرع ويصيرُ ذلك شائعاً عند الناس[٣٢].

## ج - الحياة العامة لمجتمع مصر وبلاد الشام:

بلغ المجتمع المصري والشامي خلال العصر الايوبي درجة كبيرة من الرُقي، وهذا ما ذكره (البغدادي) الذي زارَ مصرَ خلال هذا العصر، إذْ وَصفَ حمامات القاهرة وصفاً بديعاً من حيث إتقان بنائها، والتفنن في هندَستها والمكُونة من أرضٍ مكسوةٍ بالرُخام الجَميل وبناءِ احواض واسعة يجري فيها الماء البارد والساخن، ومقاصير بأبواب للُمستحِمّين[٣٣]، ومن امثله الحمامات التي كانت في مصر هي حمام الكامل، وحمام الخشبية، وحمام ابن سُحار[٣٤]، وكما يذكر ابن جبير عن مدينة الاسكندرية بأنّ أهلها زمن الدولة الايوبية كانوا يعيشون حالة بالغة من الترفيه واتساع الإحوال ، وكان الناسُ فيها يتصرفون في الليل كتصرفهم بالنهار في جميع احوالهم بمعنى المدينة التي لا تنام، هذه فضلاً عن مدينة القاهرة وهي مدينة السلطان الحافلة والمتسعة[٣٥]

كما تؤكد المصادر التاريخية على أن السُكان في بلاد الشام صغاراً وكباراً قد مالت قلوبهم الى محبة ملوك وامراء بني أيوب لما قدموه من خدمات كبيرة لسكانها[٣٦]، ومثال ذلك ما ذكره القلقشندي عن سُكان مدينة حماة انهم شهدوا حياة الاستقرار والرخاء الاقتصادي في عصر بني ايوب اذ قال عنها : (( وليس لها نظير بالممالك الشامية بعد دمشق[٣٧]، كما ذكرها العمري بأنها من أحاسن مدن الشام في هذا العصر، ويذكر ابن جبير ان دمشق تحوي من السُكان على ما تحويه ثلاث مدن لأنها وكما وصفها من اكثر بلاد الدنيا خلقاً ، كما إن الكنيسة لها عند الروم شأن عظيم لانهُ ليس عندهم افضل منها بعد بيت المقدس[٣٨].

كما ويعجب ابن جبير في كلامهِ عن المدن الحدودية الفاصلة بين بلاد الإفرنج التي كانت بساحل بلاد الشام وبين المسلمين القاطنين في القرى والضياع المحيطة بمدن الساحل بأنَّ حياتهم كانت تمتاز بالتعايش بين الفريقين، إذْ يقول : ( إنَّ من أعجب ما يحدث بهِ في الدنيا إنَّ قوافل المسلمين تخرج الى بلاد الافرنج وسبيهم يدخل الى بلاد

المسلمين ، وأنَّ بين النصارى والمسلمين الاتفاق والاعتدال في جميع الأحوال، وأهل الحرب مشتغلون بحربهم والناسُ في عافية والدنيا لمن غُلب[٣٩].

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية في مصر وبلاد الشام هو اعتناء سلاطين بني أيوب بأمور المسلمين خاصة السلطان صلاح الدين الأيوبي من حيث تعليم ابناء الفقراء والايتام القرآن الكريم، وكانت تجري لهم الجراية الكافية[٤٠]، فضلاً عن اعتنائه بالأغراب الذين يفدون الى مصر وبلاد الشام لطلب العلم وذلك بتخصيص حمامات لهم، ومارستان لعلاج مرضاهم وتكليف مجموعة من الأطبّاء لتفقد أحوالهم فضلاً عن تعيين أهل المعرفة بالدواء لصنع الاشربة والعقاقير بمختلف انواعها ودفع نفقاتها، أما ابناء السبيل من المغاربة الذين يفدون الى مصر في طريقهم الى مكة لأداء مناسك الحج فقد كانت تصرف لهم جرايات من الخُبز وغيره[٤١]، وقد أولى بني أيوب اهتماما كبيراً في بناء الخانات الكثيرة لأبناء السبيل والمنتشرة في الاماكن البعيدة والمنقطعة عن العمران والموصلة بين مصر وبلاد الشام اهمها خان السبيل الذي خُصص بغير اجره لأبناء السبيل والمسافرين[٤٢]، وكانت الخانات كأنها القلاعُ في المناعة والحصانة، كما يقوم الناسُ بالاحتفال في تشييدها[٤٣].

ويذكر ابن جبير عن صفات سكان بلاد الشام من حيث سعيهم الى المبادرة لإكرام الغرباء وإيثار الفقراء وبالأخص أهل البادية إذ كان أحدهم يعرض طعامهُ على فقير يتوقف عن قبولها فيبكي الرجل ويقول : لو عَلِمَ الله فيَّ خيراً لأكل الفقير طعامي[٤٤] ، وانّ نصارى جبل لبنان كانوا إذا رأوا بعض المنقطعين من المسلمين جلبوا لهم القوت واحسنوا اليهم، ويقولون هؤلاء ممن انقطع الى الله عزَّ وجل فتجب مشاركتهم[٤٥].

وقد عرف عن مجتمع بلاد الشام هو تعظيمهم للحجاج ، اذ يتهافت الرجال والنساء في جموع غفيرة لتلقيهم والتمسح على صدورهم تبركا بهم ، كما تقوم النساء بتلقي الحاج ومناولته الخبز فإذا عض الحاج منه اختطفنه من يديه ويتبادرن لاكله تبركا باكل الحاج له ويدفعن عوضا عنه دراهم.[٤٦]

ومن وسائل التسلية والترفيه عند السكان في مصر وبلاد الشام زمن الايوبيين هو ركوب الخيل ، والصيد، والقنص، واللعب بالكرة، والشطرنج[٤٧]، فضلاً عن فن خيالِ الظّل وهي نوع من التمثيليات الضاحكة الهزلية وذات الموعظة والتي تؤرخ أحداث تاريخية[٤٨].

وتُعد ظاهرة انتشار الباعة المتجولين من المظاهر الاجتماعية في مصر وبلاد الشام إذ كانوا يفترشون الأرض ببضاعتهم، وعُرفوا بأرباب المقاعد وكانوا يبيعون أنواع مختلفة من البضائع من المأكل والمشرب، والحُلي، والأسلحة وكانوا إذا أقبل الليلُ عليهم فإنهم يوقدون المشاعل عَلى الأرضِ التي افترشوا فيها بضائعهم وكانت تؤجّر لهم[٤٩].

أما عن الملابس في مصر وبلاد الشام فقد كانت جميلة ومميزة اذ كانوا يرتدون العباءات والجُبب والقلنسوات والطرابيش والعمائم والقمصان وكان لكُل مناسبة زي خاصٌ بها[٥٠]، أما عن نوعية القماش لتلك الملابس فقد زادت العناية بالمنسوجات الحريرية في العصر الأيوبي على حساب المنسوجات الكتانية وعرفُت بالبساطة في زخرفتها[٥١].

ولم يكن صعيد مصر أقلّ رُقياً في مستواه عن مدن الوجه البحري[٥٢]، ويذكر (ابن جبير) عن عادات مدينة قفط[٥٣]وعن نسائها بقوله : ((وصون نساء أهلها والتزامهنَّ البيوت، فلا تظهر في زُقاق من أزقتها المرأةُ البتة))[٥٤].

د_ الكوارث والأزمات البيئية التي تعرضَ لها المجتمع المصري والشامي

تعرضَ المجتمع المصري والشامي في العصر الأيوبي لأزماتٍ عديدة سواءاً كانت طبيعية من ؛ زلازل أو قحط وما يتبعهُ من المجاعات وانتشار الاوبئة والامراض، أو سياسية وغيرها والتي كان لها الأثر الواضح في أنتكاس وتدهور حالة المجتمع بشكل كبير، مثال ذلك ما حدث في عهد عبدالعزيز عثمان سنة (٥٩٢ه/ ١١٩٤م) عند انخفاض منسوب نهر النيل وما ترتبت عليه من نقص الغذاء، وغلاء الأسعار واختفاء السلع من الأسواق، وأنتشار المجاعات وكثرة الأوبئة فهلكت الاحياء من المواشي والبشر وكثر الزحام على الخبز في الاسواق لقلتهِ[٥٥]، وكان لانشغال العزيز عثمان بالصراع مع أخيه الأفضل السبب الأكثر تأثيراً في تدهور حالة المجتمع[٥٦]، إذ انفرد (ابن أياس) بالكلام عن الملك العزيز عثمان قوله : ((... وقع في أيامه غلاء بسبب توقف النيل وقد شحت الغلالُ في وقت ميسورها... واضطربت احوال الديار المصرية من قلة العدل وكثرة المعاصي...))[٥٧]؛ في حين يذكر (ابن خلكان) و (المقريزي) عن الملك العزيز عثمان إنّ الأمور في عهده قد استقامت في مصر فكان ملكاً مباركاً، عادلاً مع الرعية، متعففاً عن الاموال، محسناً للناس كثيرا الخير وواسع الكرم[٥٨]، وبلغ من كرمه أنهُ لم تبقُ له خزانة ولا فرس في الوقت الذي كانت فيه بيوت أمرائهِ تفيض بالخيرات[٥٩].

وفي سنة (٥٩١ه/ ١١٩٣م) كثُر القتلُ بالقاهرة بأيدي السكارى، وأعلن المُنكر بها، اذ كان السُكارى يقتلون بالسكاكين بمن يلقونهُ ليلاً ولم يتمكن والي القاهرة من منعهم[٦٠].

وفي سنة (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) خلت مدينة القاهرة ومصر من أكثر اهلها إذْ تجددت كارثة أنخفاض نهر النيل مع بداية حكم الملك العادل الأيوبي ، تلك الكارثة المُخيفة التي بالغ المؤرخون في وصف أحداثها المهولة من حدوث القحط والمجاعة وما تبع ذلك من كثره الموتى وتفشي الأوبئة والامراض، وهجرة السكان[٦١]، فيقول احد المؤرخين في وصف هذه الكارثة : (( احترق البحرُ احتراقاً عظيماً... وأشتد بالناس الجوع وأكل بعضهم بعضاً... وكان يموت بمصر والقاهرة كل يوم ما يزيد عن الستمائة والسبعمائة من الجوع، وهرب أكثر اهل مصر الى الغرب وإلى الحجاز واليمن والشام))[٦٢]، وصارَ من يموت لا يجد من يواريه حتى يبلى[٦٣]، وكان الاطفال الصغار ممن ليس لديهم كفيلاً كالجراد المنتشر في أنحاء البلاد، ورجال الفقراء ونسائهم يتصيدون هؤلاء الصغار ويتغذون عليهم[٦٤].

كما ضربت الزلازل البلاد في عهد الملك العادل الايوبي أيضاً والتي أحدثت كارثة مروعة في منطقة الصعيد اذ هُدمت بنيان مصر، ومات تحت الهدم خلقٌ كثير، وامتدت الى بلاد الشام، فأفاض المؤرخون في وصف أهوالها، إذ يُذكر إنّ الملك العادل كفن في مدةٍ يسيرة مائتي وعَشرينَ ألفاً من الموتى[٦٥]، وصلى إمام جامع الاسكندرية في يوم على سبعمائة جنازة[٦٦].

أما بلاد الشام فقد تعرضت الى أزمات عديدة خلال العصر الأيوبي منها ما حدث سنة (٥٧٣هـ/ ١١٧٧م) من انتشار حالة من الجدب والتي أماتت الزروع واستمرت حتى اواخر سنة (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م) والتي قال الاصْفهاني عنها :((وراحت الرياحين، ويبست البساتين ، والجذبُ عاماً والشام لروائح الجوانح شاماً وللأسعار إسعار وللأسرار استشعار وللأقوات اقوات وللغلات غلاء وللبلاء بلاء وللسوءِ استوآء))، وبعدها جاءت الامطار، ورخصت الاسعار، الاّ أنّ الغلاء قد أعقبهُ وباء أصاب الناسَ في ذلك العام اي (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م) وهو وباء قاتل يُدعى "سرسام" فمات على أثره من كل بلد خلق كثير[٦٧].

ومن الكوارث الأخرى هي الزلازل التي كانت تضرب بلاد الشام بشدة ابرزها ما حدث سنة (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) وضربت العديد من البلاد الاّ انَّ قوة الزلزلة وعظمتها كان بالشام اذ تهدمت دور كثيرة من طرابلس و صور وعكا ونابلس التي مات بها وبالقرى التي حولها ثلاثون الف تحت الرّدم[٦٨]، كما خُسفت قرية من أرض بُصرى ومات من الخلق الكثير قُدّرَ بنحو مائة الف انسان[٦٩].

كما تعرضت بلاد الشام الى غزو بعض الافات الزراعية مثل الجراد على الحقول الزراعية عدة مرات منها عام (٥٩٢ه/ ١١٩٥م) وعام (٦٢٠ه/ ١٢٢٣م) فعم الغلاء في بلاد الشام بعد تناقص المحاصيل بفعل هذه الآفة التي أكلت الزرع والشجر والثمار فقل الإنتاج وازداد الفقر والغلاء والأمراض بين أبناء المجتمع الشامي[٧٠].

كما عم الغلاء مرة أخرى واستمر لمدة عامين من سنة (٦٢٣ه / ١٢٢٦م)الى سنة (٦٢٥ه / ١٢٢٨م ) ، إذ ارتفعت أسعار الطعام فأكل الناس الميتة والقطط والكلاب مما سبب انتشار الأوبئة والأمراض فكثر الموت بين الناس [٧١]

أما عن بيع النساء ، فقد شاعَ خلال سنين القحط إذْ يَذكر (البغدادي) إنّ الجارية الحسناء تُباع بدراهم معدودة، وإنّهُ قد عُرض عليه جاريتان بدينار واحد، وسألتهُ امرأة ان يشتري أبنتها الصغيرة فرفض، فقالت لهُ خذها هدية[٧٢].

# المبحث الثالث

# دور المرأة في الحياة الاجتماعية

تميزت بعض جوانب الحياة الاجتماعية في العصر الأيوبي بظهور دور المرأة في ميدان الحياة الاجتماعية والتي لعبت دوراً بارزاً في توجيه الكثير من أمور المجتمع بما امتازت به المرأة الأيوبية من علمٍ وتربية وحرية أعطتها فرصة ممارسة العمل والدراسة والتدريس والنهوض بالناس مادياً وفكرياً ودينياً والمتمثلة بمساعدة ابناء المجتمع وبناء العديد من المدارس والمساجد في مصر وبلاد الشام وكذلك توفير ما يحتاج اليهِ التعليم ودور العبادة من زوايا وربط، وتمويلها وايقاف الوقوف عليها، فضلاً عن دورها في توجيه الكثير من الأمور السياسية وخاصة لصالح زوجها وأولادها أو لنفسها شخصياً[٧٣].

وهناك نُخبة مختارة من أشهر نساء العصر الأيوبي من كان لها دورٌ في هذا المجال، فقد اشتهرت الخاتون عصمة الدين بنتُ أُنر، وهي زوجة السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي تزوجها بعد وفاة زوجها نور الدين الشهيد[٧٤]، ووصفت بانها من خير النساء واعفهَّنَ، وقد كانت بعيدة تماماً عن السياسة مُنصرفةً عنها الى العبادة وكان لها معروف وبّر وصدقات وخصصت من اموالها رواتب للفقراء والمحتاجين وبنت لهم في دمشق المدرسة الخاتونية الجوانية لحّبها للعلم والادب، كما بنت خانقاه خاص للصوفية على نهر بانياس بظاهر دمشق وأوقفت على هذهِ الأبنية اوقافاً كثيرة[٧٥].

لم تكن الخاتون عصمة الدين وحدها من أولى الاهتمام ببناء المدارس بل كان الأهتمام بتأسيس ونشر هذا الرافد العلمي من المظاهر الأجتماعية التي انتشرت في العصر الأيوبي بشكل كبير اذْ كانت المدارس من انجح الوسائل لنشر المذهب السني في مصر وبلاد الشام[٧٦]. وهي من المفاخر الخالدة لسلاطين وأمراء وأميرات وخواتين الدولة الأيوبية وهو انهُ كل مسجد أو جامع أو مدرسة أو خانقاه يستحدث بناؤه يُعين لهُ السلطان اوقافاً تقومُ بها وبساكنيها الملتزمين بها من الغرباء والعلماء والصُلحاء والفقراء والدارسين والزُهاد والمسافرين واهل الطب الذين يفدون من شتى الارجاء النائية وتجرى لهم ارزاقهم كل شهر، كما يقوم تحت أيديهم خدّام يأمرونهم بالنظر في مصالحهم التي يشيرون لها من علاج وغذاء[٧٧]،لذلك شهد العصر الأيوبي بناء عشرات المدارس والجوامعَ في المدن الرئيسية كدمشق وحلب والقاهرة والتي أمر ببناء بعضها نساءاً سوءا كنَّ من الأسرة الحاكمة أومن عامة الناس،

ومن الجدير بالذكر إنّ مساهمات المرأة في المجال المعماري في مصر كان أقلَّ بكثير من حجم المؤسسات التعليمية التي أقامتها المرأة في بلاد الشام ومن هذهِ المدارس المدرسة العذراوية والتي أمرت ببنائها عذراء بنت شاهنشاه ابنة أخ السلطان صلاح الدين الايوبي سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) في دمشق، كما أنشأت رباطاً خاصاً بالصوفية أطلق عليه رباط عذراء خاتون داخل باب النصر في مصر[٧٨].

وممن شاركنَّ في بناء المدارس هي الصاحبة ربيعة خاتون بنت نجم الدين ايوب بن شادي التي بنت المدرسة الصاحبية سنة (٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م) ، في سفح جبل قاسيون وقد أوقفت لها الأوقاف الكثيرة[٧٩].

كما برزت ست الشام ابنة نجم الدين أيوب ووالدة الملك إسماعيل المتوفاة سنة (٦١٦ه/ ١٢١٩م) وكانت من أكثر النساء إحساناً الى الفقراء والمحتاجين، وكان يُصنع في دارها الأشربة والعقاقير في كُل سنة بمبالغ كبيرة وكانت تُفرقها على الناس من ذوي الحاجة[٨٠]، كما أمرت ببناء المدرسة الشامية البّرانية[٨١]، وهي من أكبر المدارس وأعظمها وأكثرها أوقافاً، كما أمرت ببناء المدرسة الشامية الجوانية[٨٢]، اذ كانت هذهِ المدرسة داراً لها ثم جعلتها بعد ذلك مدرسة، وقد أوقفت ست الشام لهذهِ المدارس أموالاً عظيمة، وعُنيت كل الاعتناء بها من حيث البناء والتمويل، فضلاً عن اختيار نُخبة قيمة من العلماء والفقهاء من أهل الخير والعفاف ليُدَّرسوا في هذهِ المدارس دون غيرها لضمان تفرغهم وتَّلبية حاجات الطلبة والاهتمام بهم[٨٣]. وقد أوقفت زمردة خاتون بنت نجم الدين أيوب على هذه المدرسة أوقافاً ضخمة اذ تنازلت عن املاكها كلها للمدرسة بحضور (٤٠) شاهداً من أعيان دمشق فتخرج من هذه المدرسة خيرة العلماء والطلبة طيلة العصر الايوبي والمملوكي[٨٤].

وكان للملكة صفية خاتون بنت الملك العادل ووالدة العزيز والتي ملكت حكم حلب بعد وفاة ابنها دورٌ كبير في تصريف امور المُلك كأشهر السلاطين، اذ حكمت المدينة نحو ست سنوات، وكانت ملكة عادلة في الرعية، كثيرة الإحسان والشفقة عليهم، وكان لها الكثير من الأعمال العمرانية مثل بناء مدرسة الفردوس في حلب[٨٥]، التي تخرج منها كبار العلماء والفقهاء مثل تاج الدين السُبكي وشيخ الشافعية ابن شهبة وغيرهم[٨٦] ، وكانت مدرسه جليله كبيره رتبت فيها عدداً كبيراً من القراء والفقهاء والصوفيه ، توفيت صفيه خاتون في حلب سنة (٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م)[٨٧]

كما أنشت عصمة الدين زهرة خاتون بنت الملك العادل بن أيوب المدرسة العادلية الصغرى سنة (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م) في مصر شرقي باب القلعة، وكانت هذه المدرسة داراً يعرف بابن موسك ثم ملكتها زهرة

خاتون لتكون مدرسة ومواضع لسكن طلاب العلم وقد أوظفت للمدرسة مدرساً ومعيداً وإماماً ومؤذناً وبواباً وعشرين فقيهاً، واوقفت لها الاوقاف الكثيرة[٨٨].

ومن المساجد مسجد زمرد خاتون أخت السلطان صلاح الدين الايوبي والتي أمرت ببنائهِ ووضعت لهُ اماماً ومؤذناً، كما ظهرت في تلك الحقبة نساء عالمات في الحديث النبوي الشريف من أشهرهن امة اللطيف بنت الشيخ الناصح الحنبلي، وقد كانت سيدة فاضلة عفيفة ولُقبت بالعالمة لما اشتهرت بهِ من العلم، وقد أنشأت المدرسة العالمة في سفح جبل قاسيون في دمشق وأوقفت لها بُستان وغيظة، وهي على المذهب الحنبلي[٨٩].

كما عرفت مؤنسة خاتون بنت الملك العادل بأنها سمعت الحديث وروتهُ[٩٠] ، والتي قالَ عنها (ابن جبير): (( منَ النساء الخواتين ذوات الأقدار ممن تأمر ببناء مسجد أو رباط او مدرسة وتنفق الأموال الواسعة وتعين لها من مالها الأوقاف))[٩١] وقد أنشأت المدرسة القطبية الأولى في القاهرة سنة (٦٠٤هـ/ ١١٠٧م) وهي على مذهب الشافعية والحنفية[٩٢]

كما اشتهرت العالمة ملكة بنت داود في طلب العلم والتي سافرت الى مصر ثم الى مكة وحدثت بالحديث، وكان من تلاميذها ابن عساكر[٩٣]، وكذلك فاطمة بنت علي العسكري التي ولدت ببغداد ثم قدمت الى دمشق[٩٤].

كما بنت زهرة خاتون بنت الملك العادل رباطاً للصوفية بقرب القلعة في مصر أطلق عليه رباط زهرة خاتون[٩٥]

ومن المدارس أيضاً المدرسة المرشدية التي انشأتها خديجة خاتون بنت الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)[٩٦]، والمدرسة الاتابكية التي انشأتها تركان خاتون بنت عزالدين مسعود ابن قطب الدين مودودسنة (٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م)[٩٧].

كما أقامت السيدة عاشوراء بنتُ ساروح الأسدي زوجة ايازكوج الاسدي بشراء احد الدور التي كانت عائدة ملكيتها الى طبيب يهودي بحارة زويلة بالقاهرة وحولتها الى مدرسة لتدريس الفقه الحنفي عرفت بالمدرسة العاشورية وكانت مغلقة معظم الاحيان ولا تفتح إلا قليلا وسبب ذلك يعزوه المقريزي الى وجودها في زقاق لا يسكنه الا اليهود ومن يعرف منهم بالنسب[٩٨]

## الخـــاتـمـة

أظهر البحث عن دراسة بعض من مظاهر الحياة الاجتماعية خلال العصر الأيوبي. جملة من النتائج آلاتية :

- بالرغم من حالة الحرب التي كانت دائماً تُعكر صفوَ المجتمع زمن الدولة الأيوبية إلاّ إنّ الناس كانوا متعايشين مع هذهِ الاجواء بشكل طبيعي، وذلك بحكم طبيعة البشر والمجتمع والذي يُحَتمّ عليهم بان لا ينسوا نصيبهم من الدُنيا وفق مبدأ استمرارية الحياة.
- أعتنى الايوبيين في احياء الأعياد الدينية وغير الدينية ، واقامت بعض الحفلات في مناسبات محددة شارك فيها المسلمون والمسيحيون والاقباط بهذه الاحتفالات ، وهو نهج سار عليه سلاطين الدولة الايوبية مع اهل مصر وبلاد الشام في العناية بالأعياد والمناسبات .
- تجدد كارثة انخفاض نهر النيل بشكل مستمر كان لهُ الأثر الواضح في انتكاس وتدهور حالة المجتمع في مصر زمن الدولة الأيوبية بشكل كبير.
- كان للمرأة الايوبية دور كبير في النهوض بالمجتمع مادياً وفكرياً ودينياً، وذلك لما امتازت به المرأة الأيوبية من علمٍ وتربية وحرية أعطتها الفرصة في ممارسة العمل والدراسة والتدريس.
- كانت الوحدة تربط أبناء المجتمع في مصر وبلاد الشام وذلك لما تمتعت بهِ فئات المجتمع خلال العصر الأيوبي من التسامح الديني بين العرب والنصارى واليهود بحيث مارسَ الجميع عاداتهم وتقاليدهم بكل حرية، ويتضح ذلك من خلال ماذكره المؤرخين من مشاركة الجميع في الاعياد والاحتفالات وتقديم الهدايا والتهاني في هذهِ المناسبات.

# الهوامش والمصادر

(١)ابن أيوب، تاج الدين شاهنشاه : سيرة صلاح الدين الأيوبي للقاضي بهاء الدين المعروف بأبن شداد (ت٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م)، ط١، دار المنار (القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ص٢٨.

(٢)الدويداري، ابي بكر بن عبدالله بن أيبك (ت٧١٣هـ/ ١٣١٣م) : كنز الدرر وجامع الغرر (الدرة المُضية في اخبار الدولة الفاطمية) تح: صلاح الدين المنجد (القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م)، ج٦، ص١٠٨_ ١١٩_ ١٢٣.

(٣) ابو الحسن محمد بن احمد (ت٦١٤هـ/ ١٢٧٨م): رحلة ابن جبير، دار صادر (بيروت، بلا)، ص٢٥٢.

(٤) القلقشندي، صح الأعشى، ج٤، ص١٩٤.

(٥) ابن حوقل، محمد بن القاسم النصيبي (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م): صورة الارض، دار مكتبة الحياة (بيروت،١٩٩٢)، ص١٦١، المقدسي، محمد بن أحمد البشاري (ت٣٨٧هـ/ ٩٧٧م): احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط٣، مكتبة مديرلي (القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١)، ص١٩٣، ص٢٠٢.

(٦)المقريزي : تقي الدين احمد بن علي بن عبدالقادر (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ح٤، ص٣٨٧.

(٧)الطرطوسي، إبراهيم بن علي بن احمد (ت٧٥٩هـ/ ١٣٥٦م) : تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، (بيروت، د،ت)، ج١، ص٧٨.

(٨) المقريزي: البيان والأعراب عما بأرض مصر من الاعراب، (القاهرة، د،ت)، ج١، ص٤٩.

(٩) رحلة ابن جبير، ص٤٨_ص٤٩.

(١٠) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تح : محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت،١٩٩٧م)، ج١، ص١٣٦.

(١١)الزيدي، مفيد : العصر المملوكي، دار أسامة للنشر والتوزيع (عمان، ٢٠١٥م)، ص٢٢٣.

(١٢)المقريزي : الخطط المقريزية، ج١، ص٤٩٠.

(١٣)المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٧.

(١٤)المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٤٦.

(١٥) حسن ، ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام، ج٤، ص٣٣٩.

(١٦)المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٩٨.

(١٧) المقريزي، خطط المقريزي، ج١، ص٩٩، ص١٠٠.

(١٨) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ص٥٠٥، المقريزي، خطط، ج٢، ص٢٨٥.

(١٩) ابن شاكر، محمد الكتبي (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م): فوات الوفيات، تح : احسان عباس (بيروت، ١٩٧٣)، ج٣، ص٢٩_ص٣١.

(٢٠) رحلة ابن جبير، ص٢٣٩.

(٢١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤١٩.

(٢٢) الخطط المقريزية، ج١، ص٧٤٦.

(٢٣) المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص٧٣٧.

(٢٤) المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص٧٣٥_ص٧٣٨.

(٢٥) رحلة ابن جبير، ص٢٨٣_ص٢٨٦.

(٢٦) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٢، ص٤٦٥.

(٢٧) ابو عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة، اكادمية المملكة المغربية (الرباط، ١٤١٧هـ) ج١، ص٣٢٦.

(٢٨) بنيامين، الرابي بونةالتطلي (ت ٥٦٩هـ/ ١١٣٣م) : رحلة بنيامين التطلي، ط١، المجمع الثقافي (ابوظبي، ٢٠٠٢م)ج١، ص٥١.

(٢٩)الزيدي، العصر المملوكي، ص٣٢٩.

(٣٠)القلقشندي، ابو العباس أحمد بن عبدالله (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) : صبح الاعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب الخديوية (القاهرة، ١٩١٤م)، ج٣، ص٥٩١.

(٣١)مقياس الروضة : هو الموضع الذي بُني في عهد خلفاء بني العباس، الهدف من بنائه هو الكشف عن مستوى مياه نهر النيل ليُعرف زيادته من نُقصانه بالقياس : يُنظر : البنداري، قوام الدين الفتح بن علي (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) : سنا البرق الشامي، تح : رمضان ششن، ط١، دار الكتاب الجديد (بيروت، ١٩١٧م) ج١، ص٣١٣، هنتس، فالتر: المكاييل والاوزان الاسلامية وما يُعادلها من النظام المتري، ترجمة : كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية (عمان، ١٩٧٠م)، ص٨٣.

(٣٢)القلقشنددي، صبح الأعشى، ج٣، ص٣٢٥.

(٣٣)عبداللطيف (ت٦٢٩هـ/ ١٢٣١م): الإفادة والاعتبار في أمور المشاهدة والحوادث المعاينه في ارض مصر، تح: علي محسن مال الله، دار الحكمة (بغداد، ١٩٨٧م)، ص٢١٣.

(٣٤)العبدري، عبدالله بن محمد (ت٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م) : رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية، تح: محمد القاسمي، مكتبة الأيمان (المنصورة، ١٩٨٢م)، ص١٢٨.

(٣٥) رحلة ابن جبير، ص١٦_١٧

(٣٦) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تح : جمال الدين الشيال، المطبعة الاميرية (القاهرة، ١٩٥٧م)، ج٤، ص٨٠_٨١.

(٣٧) صبح الاعشى، ج٤، ص١٤٠.

(٣٨) الرحلة، ص٢٥٣.

(٣٩) الرحلة، ص٢٦٠،ص٢٦٨،ص٢٦٩.

(٤٠)عاشور، سعيد عبدالفتاح: الايوبيين والمماليك في مصر وبلاد الشام، دار النهضة العربية (القاهرة،١٩٩٦م)، ص١٥٦.

(٤١)ابن جبير، أبو الحسن محمد بن احمد( ت ٦١٤ هـ/ ١٢١٧٨ م) : رحلة ابن جبير، دار صادر (بيروت، بلا)، ص٢٧.

(٤٢) المقريزي، الخطط المقريزية، ج٢، ص٥٧٨.

(٤٣) ابن جبير، الرحلة، ص٢٣٣.

(٤٤) الرحلة، ص٢٥٨.

(٤٥) ابن جبير، الرحلة، ص٢٥٩.

(٤٦) ابن جبير ، الرحلة ، ص٢٥٩ .

(٤٧) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٤٧،ص٤٩.

(٤٨) سلطان، عبدالمنعم ، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، دار الثقافة العلمية (بلا، ١٩٩٩م)، ص٢٢٩.

(٤٩)المقريزي، الخطط المقريزية، ح٢، ص٩٥، قاسم، قاسم عبدة: أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك، مكتبة سعيد رأفت (القاهرة، ١٩٧٨م)، ص١٨.

(٥٠)ابراهيم، رجب عبدالجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس، دار الافاق العربية، (القاهرة، ٢٠٠٢م)، ص٤٣٨.

(٥١)حسن، صفوان طه : تاريخ الايوبيون والمماليك، ط١، دار الفكر (عمان، ٢٠١٠م)، ص١٢٦، رمضان، عبدالمحسن طه: تاريخ مصر الإسلامية وحضارتها، (عمان، ٢٠١٠م)، ص١٤١.

(٥٢)الوجه البحري: هو كل ما كان بأسفل عن القاهرة الى البحر الابيض المتوسط اذ مصب نهر النيل، وسُميّ بحرياً لأن نهايتهُ البحر الرومي، ويشمل مجموعة من الكور وهي ؛ القليوبية، الشرقية، الدقهلية، المرتاحية، ثغر دمياط، الغربية، السمنودية، الدنجادية، السنهورية، المنوفية، جزيرة بني نصر، البحيرة، الاسكندرية ونواحيها، حوف رمسيس : ينظر : ابن مماتي، الوزير الأيوبي الأسعد (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) : قوانين الدواوين، تح : عزيز سوريال عطية، ط١، مكتبة مديولي (القاهرة، ١٩٩١م)، ص٨٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٣٩٨.

(٥٣)قفط : مدينة بالصعيد الأعلى لها مزارع وبساتين كثيرة، الجبل يَطُل عليها: ينظر: ياقوت، شهاب الدين ابو عبدالله الحموي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) : معجم البلدان، دار صادر (بيروت، ١٩٧٥م)، ج٤، ص٣٨٣.

(٥٤)رحلة ابن جبير، ص٣١.

(٥٥)المقريزي، السلوك، ح١، ص٢٤٣.

(٥٦)عبدالجواد، ليلى: تاريخ الأيوبين والمماليك في مصر والشام، دار الثقافة العربية، (القاهرة، بلا)، ص٧٣_٧٤.

(٥٧)أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٠/ ١٥٢٣م): بدائع الزهور ، مطابع الشعب (القاهرة، ١٩٦٠م)، ص٥٩.

(٥٨)ابو العباس شمس الدين أحمد (ت٦٨١ه/ ١٢٨٢م) : وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، تح : إحسان عباس، دار صادر (بيروت، د،ت)، ج٣، ص٢٥١؛ السلوك، ج١، ص٢٥٧.

(٥٩)الذهبي، ابو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) : سير أعلام النبلاء، تح : مصطفى عبدالقادر عطا، ط٣، مؤسسة الرسالة (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)،ج٢١، ص٢٩٣.

(٦٠)المقريزي، السلوك ، ح١، ص١٣٩.

(٦١)المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، تح : كرم حلمي فرحان، ط١، عين للدراسات والبحوث، (مصر، ٢٠٠٧م)، ص١٠٣؛آشتور : التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للق ن الاوسط في العصور الوسطى، ترجمة : عبدالربادي عبلة، دار قتيبة (دمشق، ١٩٨٥م)، ص٣٠٤.

(٦٢)الدويداري، ابو بكر عبدالله بن أيبك (ت٧١٣، ١٣١٣م) : كنز الدرر وجامع الغرر، (الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تح : صلاح الدين المنجد (القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م)، ج٢، ص ٤٨_١٤٩.

(٦٣)المقريزي، البسلوك، ح١، ص١٥٨.

(٦٤)البغدادي، الافادة والاعتبار، ص٥٠.

(٦٥)المقريزي، إغاثة الأمة، ص٢٩_٣٢.

(٦٦)ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتابكي (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح: محمد حسن، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٩٢م)، ج١، ص١٥٦.

(٦٧) ابن الاثير، علي بن ابي الكرم الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م): التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل ، تح: عبدالقادر احمد طليمات، دار الكتب الحديثة (القاهرة، د.ت)، ص١٧٨،ص١٧٩.

(٦٨) عوض، محمد مؤنس أحمد: الرحالة الاوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية، كلية الآداب (القاهرة، ١٩٩٢)، ص١٦٧.

(٦٩) ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م): البداية والنهاية، ط٢، مكتبة المعارف (بيروت،١٩٩٠)، ج١٣، ص٢٦.

(٧٠) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٦ ، ص٢٢٤ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج١ ، ص٢٤٤ – ٣٣٩ .

(٧١) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ج١٢ ، ص١٨٤ ___ ١٨٥ .

(٧٢)الإفادة والاعتبار، ص٥٤

(٧٣)الحسني، صلاح الدين : المرأة في العهد الأيوبي، مقال منشور على شبكة الأنترنت، سنة ٢٠١٣م، ص١.

(٧٤)القلانسي، حمزة بن علي التميمي (ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) : ذيل تاريخ دمشق، تح : سهيل زكار، دار حسان للطباعة (دمشق، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م)، ص٤٠٠.

(٧٥)النعيمي، عبدالقادر بن محمد الدمشقي (ت٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م) : الدارس في تاريخ المدارس، تح : أبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)ج١، ص٧٩٢.

(٧٦)ابن جبير، المرحلة، ص١٥.

(٧٧) ابن جبير، الرحلة، ص١٥،ص٢٤،ص٢٧،ص٢٤٨.

(٧٨) النعيمي، الدارس، ج٢، ص١٥٢.

(٧٩)النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج٢، ص٦٧.

(٨٠)النعيمي الدارس في المدارس، ج١، ص٢٢٧.

(٨١)النويري، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب (٣٣٥هـ/ ١٣٣٢م) : نهاية الإرب في فنون الآدب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ج٣٢، ص٨١.

(٨٢)ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر ( ت ٧٤٧ ه / ١٣٧٢ ) البدايه والنهاية ن تح ، عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط١ ، مركز البحوث والدراسات العربية الاسلامية ( دار الهجر ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) ج٧ ، ص٨٤ .

(٨٣)النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس ، ج١، ص٢٠٩، ٢٢٨.

(٨٤) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج١، ص٢٨٣.

(٨٥)الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك ( ت ، ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) الوافي بالوفيات ، تح : احمد الارناؤوط وآخرون ، ط١ ، دار احياء التراث العربي ( بيروت ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ ) ، ج١٦ ، ص١٩٠ ؛الكيلاني، ماجد عرسان: هكذا ظهر جبل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ط٣، دار القلم (الأمارات ٢٠٠٢م)، ص٣٠٩.

(٨٦)الدمشقي، الدارس في المدارس، ج١، ص٢٨٣.

(٨٧) ابن الشحنه ، قاضي القضاة ابو الفضل محمد ( ت ، ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م ) : الدر المنتخب في تاريخ مملكه حلب ، تح ، عبدالله محمد درويش ، دار الكتاب العربي ( سوريه ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) ص١١٣ .

(٨٨) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج١، ص٢٧٨_ص٢٧٩.

(٨٩)النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج٢، ص٨٨.

(٩٠)الكيلاني، هكذا ظهر جبل صلاح الدين، ص٣١٥_٣١٦.

(٩١)رحلة ابن جبير، ص١٩٣.

(٩٢) المقريزي، الخطط المقريزية، ج٢، ص٣٧٨.

(٩٣) ابن عساكر ، ابو القاسم علي الدمشقي ، ولد بدمشق وعرف عن اسرته العلم والحديث والفقه الشافعي ، وقد اجتمع ابن عساكر للعلم وهو ابن السادسه وظل يطلبه طول حياته بتجواله المستمر في دمشق وبغداد ومكهوالجزيره وخراسان وغيرها من المدن ، توفي سنة (٥٧٢ هـ / ١١٧٦م) : ينظر : مصطفى ، شاكر : التاريخ العربي والمؤرخون ، ط٣ ، دار العلم للملايين ( بيروت ، ١٩٨٧ م ) ، ج٢ ، ص٢٤٠ ــ ٢٤١ .

(٩٤)ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م) : تاريخ دمشق، دار الفكر (بيروت، ١٩٩٥م)، ج٧، ص١٢٧.

(٩٥) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج٢، ص١٥١.

(٩٦)النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج١، ص٤٤٣ . الملك المعظم عيسى : هو ابو الفتح ابن الملك العادل صاحب دمشق كان كريماً شجاعاً ، اديباً فقيهاً ، كثير التعصب لمذهب ابي حنيفة رحمه الله ، توفي بدمشق سنة ( ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م ) : ينظر : المقريزي ، السلوك ، ج١ ، ص٣٤٦ .

(٩٧)النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج١، ص٩٦ ، تركان خاتون : هي بنت السلطان عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن زنكي بن اق سنقر وهي زوجة الملك الاشرف مظفر الدين موسى ، توفيت سنة ( ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م ) ودفنت بالمدرسه التي لها بقاسيون : ينظر : الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٠ ، ص٢٣٥ .

(٩٨) المقريزي، الخطط المقريزية، ج٢، ص٣٦٨.